

ويبدو أنّ هذا قريب مما دعا إليه راندال شارل حيث قال: "ولا يوجد النقد إلا ليساعدونا على فهم الأعمال الفنية، ولا يوجد النقد إلا من أجل المسرحيات، والقصص والقصائد التي ينقدها" (6). وقد علّق رينه ويليك على هذا الزعم قائلاً: "يبدو أنّ شارل لا يعلم بإمكانية وجود النظرية، أو التاريخ الذي لا يكون معه تحسين استمتاع القارئ بما يقرأ" (7). ويبدو أنّ ردّ ويليك يتماشى وحقيقة الأدب الغربي، ولكن ما ذكره راندال شارل يتطابق مع حقيقة الأدب العربي ونقده، لأننا في حقيقة الأمر نعاني كثيراً من غياب التنظير للأدب ونقده. وأما ت. س. إليوت، فقد أوكل للوسيط القيام بتفسير الأعمال الفنية للجمهور، وعذّ التفسير شراً لا بد منه، فقال: "قلو عشنا العمل الفني بشكل تام لما احتجنا إلى التفسير" (8) ولعل المتلقي عندما لا يعيش العمل الفني بشكل تام فهو بحاجة إلى من يوضّح له ميكانيزمات هذا العمل ونحن إن أقررنا بعامل التفسير نطالده بأن تكون التفسيرات بعيدة عن التعسف، والإخضاع والإسقاط، وأن تراعي طبيعة العمل الفني وظروفه، على الرغم من أنّ التفسير قد يُفسد على القارئ المتخصص الاستمتاع بالنص، لأنه يوجهه إلى مستوى معين من الفهم أثناء ممارسة القراءة، خاصة إذا تأثر هذا المستوى بالاتجاه الفكري للمفسّر فيصبح عمله إجحافاً في حق الإبداع؛ لأنه يخضعه لعمليات قيصرية غير مضمونة الجانب. فقد فسّر بعضهم عمل كل من الصعاليك والقرامطة على أنه أدب ثوري لطبقة كادحة ضد البنية الفوقية للمجتمع العربي. ولعل هذا ما يقودنا إلى السؤال التالي: ما علاقة النقد الأدبي بالشرح (9)، وهل تنحصر مهمة النقد في شرح الأعمال الفنية وتوضيحها للقارئ، أو على الناقد أن ينظر إلى الأدب ونفسه لكي يوجه الإبداع نحو الأحسن، ونحو الكشف عن قدرات تعبيرية جديدة للغة تجسيدا لعلاقات فكرية جديدة يعيشها المبدع والمتلقي على حد سواء.

أي نقد نريد؟

في الواقع، من الصعب الإجابة عن هذا السؤال، خاصة إذا انطلقنا من المرتكز الفكري الذي يحدّد جوهر النقد، لا سيما وأنّ أليوت، على سبيل المثال، ميّز بين ثلاثة أنواع من النقد: النقد الخلاق، والنقد التاريخي الأخلاقي، والنقد الحقيقي، وهو الذي ينتقد الشعر من أجل أن يخلق الشعر (10).

وعندما نتحدث عن أزمة النقد، فإننا في الحقيقة لا نفرّق بين هذه الأنواع ولا نحدد أيّاً من النقد نريد؟ أهو نقد خلاق، نقد يقوم على الخلق ليطوّر الإبداع، ومن ثم يطور النقد ذاته، فلا يكتفي بوصف الظاهر بل يخلق منها مشروع